الآثار العظيمة للصدقة

يقول تعالى: (أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (التوبة/ 104). تحدّث القرآن الكريم عن الصدقة وعن المتصدّقين وأعظم لهم الثناء والأجر الجميل. والقرآن في هذه الآية الكريمة يُوضّح أنّ الله سبحانه هو الذي يأخذ الصدقة ويتقبّلها، لذا جاء في الأحاديث النبوية أنّها تقع بيد الربّ. وهذا التعبير القرآني هو تكريم للصدقة وللمتصدقين، إذ يتسلمها الله من أيديهم ليضعها في يده. ذلك لأنّها التعبير الإنساني عن حبّ الخير والتجرّد من الأنانية، والتطوّع بالجهد، استجابة لأمر الله تعالى. جاء في تفسير هذه الآية أنّ الصدقة تقع بيد الله سبحانه، وأنّه يُربي الصدقات وينمّيها. والقرآن تحدّث في تنمية الصدقة، وفي محق الربا الذي يبتز الناس ويستغل حاجتهم، فيمتص دماءهم ويُدمّر اقتصادهم. ذلك ما نقرأه في قوله تعالى: (يَمْحَقُ اللّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ) (البقرة/ 276).

الصدقة تحتاج إلى النية الخالصة لله تعالى؛ لتكون عملاً عبادياً يستحق صاحبه الأجر والثواب، وأن يقابل هذا العمل بالعفو والرحمة الإلهية. ويتحدّث الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) عن أثر الصدقة في الدنيا والآخرة. فهي كما جاء في حديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): «إنّ الصدقة لتطفئ غضب الربّ». ووصفها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله: «الصدقة جُنّةٌ من النار». وللصدقة آثار وضعية عظيمة في عالم الإنسان.. فالإنسان مُعرّض في حياته إلى أنواع البلاء والمصائب والمشاكل.. والصدقة بفضل الله تعالى تدفع البلاء والقضاء.. فالبلاء الذي يحيط بالإنسان، والذي ثبت في عالم القضاء، لابدّ وأنّه واقع عليه.. هذا البلاء وتلك المصائب لا يدفعها إلّا الدعاء والصدقة..

جاء في الحديث الشريف: «الصدقةُ تدفع البلاء، وهي أنجع الدواء وتدفع القضاء، وقد أبرم إبراماً، ولا يذهبُ بالداءِ إلّا الدُّعاءُ والصدقةُ». ومن آثار الصدقة في حياة الإنسان إنّها تدفع عنه ميتة السوء، كالغرق والاحتراق والاختناق وحوادث السوء... إلخ. ويتحدّث الرسول الكريم محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الآثار العظيمة للصدقة في حياة الإنسان، فيقول: «تصدّقوا وداووا مرضاكم بالصدقة، فإنّ الصدقة تدفع عن الأعراض والأمراض، وهي زيادة في أعماركم وحسناتكم». وورد في الحديث

الشريف أيضاً: «داووا مرضاكم بالصدقة». إنّ المتصدّق يدفع بصدقته عن نفسه، وعمّن يتعلق به من أسرته أنواع البلاء، ويطلب لها الوقاية من الشرّ والأذى.. والصدقة كما في الحديث النبويّ الكريم تطيل العمر، لأنّ المتصدّق يهب العون لحياة الآخرين السويّة، فيهبه الله مَدَد خير في عمره، إذ جعل عمره في عطاء الخير والإحسان.

ويتحدّث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الصدقة أنّها تزيد في الرزق والعطاء الإلهي، وذلك مصداق قوله تعالى: (مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مَائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (البقرة/ 261). والمؤمن بالله الذي يعتقد إنّ الأُمور جميعها بيد الله سبحانه، ويعرف فضل الصدقة وقدرها عند الله سبحانه وآثارها في حياته وآخرته؛ ليكثر من الصدقة، وهو مطمئن إلى وعد الله، وأنّ الله يضاعف له العطاء.. وهذا الإيمان الصادق هو الذي دفع المسلمين إلى بذل الأموال، والإكثار من الأوقاف، وجعل الصدقة جُزءاً من مشروع الإنسان الحياتي.. فالكثير من الناس قد خصص مبلغاً محدداً يومياً أو شهرياً أو سنوياً، أو حصة محددة من موارده وممتلكاته لتكون صدقة ينفقها في مجالات الخير والمعروف والإحسان؛ وبعضهم أوقف بعض ممتلكاته؛ لتنفق في سبيل الله في حياته أو أوصى بها بعد وفاته.. وربّما أوقفها البعض إن لم يكن له وارث. ذلك ما يُوضّحه الرسول الكريم محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلّا من ثلاث: إلّا من صدقةٍ جارية، أو علمٍ يُنتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له».